تحرير القدس في عهد صلاح الدين الايوبي ونتائجه على الصعيدين العربي والاوربي

أ.م.د. طارق فتحي سلطان م.م. صهيب حازم عبد الرزاق
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : 2008/3/31 ؛ تاريخ قبول النشر : 2008/6/12

ملخص البحث :

إن تحرير القدس مِن قِبل صلاح الدين الأيوبي في 583 هـ /1187 م يعد حدثا مهم جداً في التأريخِ الإسلامي.

كانت المدينة مكان مقدّساً منذ فتحها من قِبل المسلمين على يد الخليفة عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ سنة 15هـ/636م، عامل المسلمونُ كُلّ ناس القدس بعدل وعطف.

عانت المدينة منذ احتلالها من قبل الصليبيين في عام 492هـ/1098م ، وقتلهم لجميع ناسها .

بقيَ الصليبيون في القدس حوالي مائة سنة، حتى تم تحريرها من قبل صلاح الدين ، الذي تعامل مع الصليبيين على نحو مختلف وسمح لهم بترك المدينة دون أسلحة.

Freedom of Al- Kudus and its Impact up on Arab and Europe countries

Assist Professor Dr. Tarik Fathy Sultan
Assist Lecturer Suhaib Hazem Abd Al-Razzaq

University of Mosul/ College of Education

Abstract:

The liberation of Al-Qudus by Salah Al- Deen Al- Ayooby in 583A.H/1187A.D. was considered a very important event in the Islamic History.

The city was a holy place since it was conquered by Muslims , and treatment was settled with Patrach of Al-Qudus and the caliph Ummar , son of Al-Khttab.

The Muslims treated all the people of Al-Qudus justly and kindly. The city suffered from Crusaders in the year 491A.H./1097A.D,when they occupied it , and killed all its people.

The Crusaders stayed in Al-Qudus about one hundred years, until it was liberated by Salah Al-Deen , who treated the Crusaders in a different way and allowed them to leave the city without weapons.

مقدمة:

يعد تحرير القدس بمثابة الأمل المؤكد الحصول لدى المسلمين ، وهم دائماً في ترقب لتحقيقه ، حيث احتل بيت المقدس من قبل الصليبيين ، بعد ان ظلّ في يد المسلمين قرابة خمسة قرون ، فقد فتح على يد الخليفة عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ سنة 15هـ/636م، وكان هذا الفتح قد أثار البهجة والسرور في صدور المسلمين ، لأن القدس هي مسرى خاتم الانبياء ورسول الانسانية محمد ﴿ﷺ﴾ .

ويعد فتحها وتحريرها من دنس الطغاة الصليبيين نصراً مبيناً للمسلمين ، يجب الحفاظ عليه ، وعند وقوعها في أسر الصليبيين ، أصبح الجيش العربي الاسلامي في اشتياق شديد ، لإستعادة بيت المقدس من يد الصليبيين . لقد ظلت القدس منذ فتحها جزءاً من ديار المسلمين طيلة عصور التاريخ الاسلامي المختلفة ، حتى احتلالها من قبل الصليبيين في عام 492هـ/1098م ، ابان حكم الخليفة العباسي المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م) ، إذ كانت الهيمنة السلجوقية على أوجها ، عندما سيطر السلاجقة على مقدرات الخلافة العباسية ، وأصبح لاحول لها ولاقوة في ظل الوجود السلجوقي ، مقابل ضعف شديد عانت منه الخلافة الفاطمية التي كانت تدير مدينة القدس حينئذٍ.

وبعد جهود مضنية من قبل صلاح الدين الايوبي ، تمكن من إعادة فتحها وتحريرها في عام 583هـ/1187م ، أثناء حكم الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م) ، الذي عاشت الخلافة في ظل حكمه في قوة ومنعة اكثر من ذي قبل . ان تحرير القدس لم يكن امراً سهلاً أتت به الظروف ، أو أن الصدفة خدمت المسلمين ، فتحقق النصر ، بل ان قدسية الجهاد لدى المسلمين وما لقوه من سوء معاملة من قبل الصلبيين حفز جميع المسلمين ، للحد من النفوذ الصليبي في الارض العربية ، وكسر شوكة الصليبيين كغزاة محتلين ، وتحويل مركز القوى لمصلحة المسلمين ، الذين هم اصحاب الارض الحقيقيون ، مما حفز الجيش الاسلامي ورفع معنوياتهم ، وساعد على التغلب على نقاط الضعف لديهم ، وجعل العدو

في حالة عدم استقرار في المناطق التي تمكن من احتلالها من قبل ، ومن ثمّ فانه اصبح يرى الهزيمة ولا يرى النصر ، امام جيش يرى النصر امام عينيه دائماً .

دوافع معركة حطين :

لكل معركة من المعارك المصيرية دوافع كانت تدفع باتجاهها ، وتجبر المسلمين في كثير من الاحيان على خوضها ، فاذا أعدوا العدة بشكل كامل تحقق النصر بعون من الله ﴿ﷻ﴾ ، واذا لم يأخذ المسلمون الأهبة كما يجب وان كانوا أقوياء ، ولم يتوكلوا على الله ، انكسروا ، والامثلة كثيرة في التاريخ الاسلامي ، وقد كان لمعركة حطين دوافع وحوافز ، دفعت بالمسلمين الى خوضها متوكلين على الله ﴿ﷻ﴾ ومنها :

1. الشوق الذي كان يراود المسلمين لإستعادة القدس مسرى الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ الى أحضان الدولة الإسلامية .
2. شعور المسلمين بأن هذه المدينة هي ملك لهم وهي مدينة عربية ، وقد اغتصبت منهم .
3. قيام رينالد دوشاتيون Dechatillon أمير الكرك الصليبي بنقض المعاهدة المعقودة بين المسلمين والصليبيين ومهاجمة قافلة اسلامية كانت متجهة من مصر الى بلاد الشام ، والسيطرة عليها واسر من فيها ، وقد قام السلطان صلاح الدين الايوبي [1] ، بمخاطبة ملك بيت المقدس ، بضرورة ترك القافلة بمن فيها ، واعادتها الى المسلمين ، بموجب معاهدات موقعة بين الطرفين ، لكن نصائح ملك بيت المقدس لم تجد نفعاً مع رينالد . وقد كانت أخت السلطان صلاح الدين الايوبي من بين من تمّ أسرهم في تلك القافلة ، وهي ست الشام وابنها [2]
4. لم يكتف رينالد بهذا العمل ، ونقض الاتفاق ، بل قرر التطاول وقطع الطريق الى مكة المكرمة ، ومهاجمة قوافل الحجاج المتجه الى الديار المقدسة ، لهذا قرر صلاح الدين الايوبي التوجه الى بصرى [3] لمنعه من مهاجمة الحجاج [4] . وليكون في موقع متقدم وقريب من الكرك ، مركز حكم رينالد .
5. كانت مناطق بلاد الشام في معظمها محتلة من قبل الصليبيين ، منذ سنة 493هـ/1099م ولقد قامت الطبقة المحتلة والمترفة الممثلة بالاقطاعيين والبارونات والفرسان ، بتنصيب انفسهم امراءً وملوكاً على هذه المناطق ، لمدة تقرب من القرن ، واستعبدوا كل سكانها ، وطبقوا عليهم نظام الاقطاع والقنانة الأوربي[5] ، وحاكموهم في محاكمهم على وفق قوانينهم ، كل هذا دعا المسلمين وغيرهم الى محاربتهم ، بكل ما يملكون من قدرات للتخلص من هذا الظلم . [6]

6. كانت الانتصارات المتلاحقة التي حققها السلطان صلاح الدين الايوبي في مختلف مناطق الشام حافزاً ودافعاً مهماً في متابعة الحرب ضد الصليبيين ، وتحرير القدس على وجه الخصوص [7] . لهذا قرر صلاح الدين عدم الالتزام بالصلح الذي نقضه الصليبيون ، فلماذا يلتزم هو ببنود الصلح ، وقد نقضه الصليبيون بمهاجمتهم المارة والتجار والحجاج ، دون أي وازع اخلاقي او ديني . [8]

معركة حطين:

سعى صلاح الدين الايوبي منذ توجهه الى مصر خطوات حثيثة من اجل عمل شيءٍ ما لمصلحة المسلمين ومن هذه الخطوات :

1. الذهاب الى مصر مع أسد الدين شيركوه لمساعدة أهلها ضد الصليبيين سنة 564هـ/1168م بتكليف من نور الدين محمود .
2. اعلان الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله (566-577هـ/1170-1180م) وذلك عند تسلمه لمنصب الوزير في مصر في سنة 567هـ/1171م.
3. حصل على السلطنة بمنشور من الخليفة العباسي المستضيء بالله سنة 570هـ/1175م على مصر والنوبة واليمن وفلسطين وبلاد الشام والجزيرة الفراتية ، وتسخير الموارد المادية والبشرية لهذه المناطق لهدف أكبر في المستقبل القريب، وخلق جبهة موحدة ضد الامارات الصليبية المنتشرة في الشام والقدس ، سيراً على نهج نور الدين محمود .
4. ضم حلب وسنجار وحمص وحماة وقلعة آمد وحصن كيفا وغيرها[9]
5. تمكن صلاح الدين الأيوبي من بث روح الجهاد والحماس في صفوف المسلمين كافة ومن مختلف المناطق الاسلامية للالتحاق به للجهاد ضد الصليبيين ، والاشراف على تدريباتهم وتجهيزم بما يحتاجون اليه من عدد وعدة [10] .

بعد ان أدرك السلطان صلاح الدين الايوبي ، أن موقفه العسكري جيد ومستقر ، وان المتطوعة قد جاءته من كل مكان ، والناس له منقادة ولجهوده داعمة ، وتحت يده من البلاد ، ما يشكل له قوة دافعة ، توكل على الله وقرر خوض الحرب ، وأخذ يحث من معه على الجهاد حاضاً إياهم على بذل الغالي والنفيس في سبيل تحرير المقدسات ، فقد امر جميع العساكر بالتجمع في مكان محدد : ((فسير الى جميع العساكر واستحضرها ، واجتمعوا اليه بعشترا المذكور ، وعرضهم ورتبهم واندفع قاصداً نحو بلاد العدو المخذول في وسط نهار الجمعة من ربيع الآخر ، وكان أبداً يقصد بوقعاته الجمع ، لاسيما أوقات صلاة الجمعة ، تبركاً بدعاء الخطباء على المنابر ، فربما كانت أقرب الى الاجابة)) [11] ، ثم تحرك بمن اجتمع له من العساكر وتوجه الى منطقة صفورية [12] ، حيث بلغه اجتماع العدو فيها ، وكان جيش الصليبيين

يفوق جيش المسلمين بالعدد كثيراً ، وربما بلغ أربعة أضعافه ، فقد بلغ جيش صلاح الدين 12000 مقاتل ، بينما قدر عدد الجيش الصليبي بـِ 50000 ألف مقاتل . [13] وتقدموا لمواجهة السلطان صلاح الدين الايوبي ، الذي سيطر على مدينة طبرية وبها زوجة القومس (القومص) [14]

وقد بذل صلاح الدين الايوبي كل ما بوسعة من اجل فتح مدينة طبرية ، فنصب المنجنيقات على اسوارها ، ثم فتحها ، ولم تستعص عليه سوى القلعة التي كانت تدافع عنها زوجة القومص ، بما تبقى لديها من جند . [15]

أما الصليبيون فقد نبذوا خلافاتهم ، وتصالحوا ، إذ تصالح أمير الكرك وأمير طرابلس على ما بينهما من خلاف ، وحملوا معهم صليب الصلبوت [16] ، وتقدموا لمواجهة السلطان صلاح الدين الايوبي ، الذي سيطر على مدينة طبرية وبها زوجة القومس (القومص)[17] ، وهنا كان لابد من التشاور فيما بينهم ، حول الطريقة التي يجب التعامل بها مع السلطان صلاح الدين الايوبي ، فقال القومص : ((ان طبرية لي ولزوجتي ، وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقيت القلعة ، وفيها زوجتي ، ولقد رضيت أن يأخذ القلعة وزوجتي ومالنا بها ويعود ، فوالله لقد رأيت عساكر الاسلام قديماً وحديثاً ، ما رأيت مثل هذا العسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة..)) [18] ، فأجابه أمير الكرك : ((لقد اطلت في التخويف من المسلمين، ولا شك انك تريدهم ، وتميل اليهم ، وإلا ماكنت تقول هذا ، واما قولك : إنهم كثيرون، فان النار لايضرها كثرة الحطب . فقال القومص : أنا واحد منكم إن تقدمتم تقدمت، وإن تأخرتم تأخرت ، وسترون ما يكون !!)) [19]

أدرك القومص حراجة موقف الصليبيين امام صلاح الدين ، فانسحب بغفلة هو وجنده الى صور ، وتبعته جماعة من جند المسلمين فقتلوا أتباعه ونجا بنفسه ، وهرب قسم منهم والتحقوا بالجيش الصليبي المتوجه الى حطين ، الذي كان معسكراً قرب قرية الصَّنبرة [20] المجاورة لبحيرة طبرية ، ثم غير موقعه الى غرب بحيرة طبرية ، وقد حاول صلاح الدين جر العدو الى الحرب ، لكن محاولته لم تفلح [21]

فقام المسلمون باحراق الاعشاب والقصب واستدراج الصليبيين الى منطقة القتل المرسومة على وفق خطة صلاح الدين الايوبي ، فانجروا الى هذه الخطة والى منطقة القتل ، واخذ المسلمون يقاتلون قتالاً مستميتاً رغبة في الجهاد وحباً في تحرير أرضهم ، مقابل جيش الصلبيين الذي أنهكه العطش والحر وحرارة النار المحترقة من حولهم ، فضلاً عن رمي النشاب الذي كان يتساقط عليهم كالمطر ((ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ، ما كان كالجراد المنتشر)) [22] ، بينما اشار ابن كثير الى ذلك فقال : ((فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر فقوي بهم العطش ، وكانت تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً ، وكان ذلك عليهم مشئوماً ، فأمر

السلطان النفاطة ان يرموه بالنفط فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان)) [23]

وقد حاول الصليبيون الوصول الى بحيرة طبرية طمعاً بالماء ، فلما علم صلاح الدين بنواياهم منعهم من الوصول الى الماء وشدد الرقابة على البحيرة ، فايقن الصليبيون أن الموت أمامهم لامحالة ، فجمعوا قواهم وقاموا بهجمات قوية متعددة على طريقة الكر والفر ، إلا أن المسلمين كانوا أقوى وأقدر على رد تلك الهجمات ، ففي كل كرة كان يقتل عدد من مقاتليهم وهكذا ، مما عمل على اضعافهم ، فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية ، فارتفع الصليبيون الى تل حطين[24] ، وقد انقسم جيشهم على قسمين ، وهذا ما كان يريده صلاح الدين الايوبي[25] فأبيد القسم الاول ، وحاول الناجون منهم نصب خيامهم على جبل حطين لحماية أنفسهم وليجتمع عندها الصليبيون ، فلم يمكنهم المسلمون إلا من نصب خيمة الملك ، وعندما اشتد القتال والحر والعطش على الصليبيين صعد عليهم المسلمون وأسقطوا تلك الخيمة ، وكان سقوطها دلالة على إنتهاء المعركة وخسارتها فسجد السلطان شكراً لله وبكى من شدة فرحه [26] ، وقد استغرقت هذه المعركة لوحدها قرابة السبع ساعات او اكثر بقليل . [27]

نتائج معركة حطين :

كانت معركة حطين من المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي في هذه الحقبة التاريخية ، وكانت لها آثارها وانعكاساتها على الجانبين الاسلامي والصليبي :

1. لقد نقلت معركة حطين المسلمين من حالة الانكسار والاندحار الى حالة التوحد والمجابهة المباشرة مع الصليبيين ، إذ كان المسلمون قبلها في وضع لايحسدون عليه من التمزق والتشرذم وضعف المقاومة ، فقد أسقطت هذه المعركة أكبر مملكة وهي مملكة بيت المقدس ، التي تعد بمثابة القلب بالنسبة للامارات الصليبية الاخرى ، وملكها هو المسؤول عن بقية الامارات الصليبية في الشام من الناحية الروحية والاعتبارية .
2. ظفر المسلمون بعدد كبير من الاسرى ، فضلاً عن عدد هائل من القتلى والجرحى الذين سقطوا في هذه المعركة ، فقد اسروا اعداداً كبيرة جداً من الصليبيين ، فمن رأى الاسرى يقول : انهم لم يقتلوا احداً ، ومن عاين القتلى يظن ، انهم لم يأسروا احداً ((وما اصيب الافرنج منذ خرجوا الى الساحل ... الى الآن بمثل هذه الوقعة)) [28] ، وقد حكى ابن شداد رواية عن احد الشخاص : ((ولقد حكى لي من أثق به ، أنه رآى بحوران شخصاً واحداً معه طنب فيه نيف وثلاثون أسيراً يجرهم وحده ، لخذلان وقع عليهم)) [29] ، كما أُسِرَ عدد من الملوك والامراء الصليبيين في هذه المعركة ، كان أشدهم على المسلمين أرناط ، كما أُسِرَ جماعة من الاسبتارية والداوية الذين كانوا من أشد الناس على المسلمين ، فأمر صلاح الدين بقتلهم

جميعاً [30] . ونظراً لكثرة الاسرى والسبي فقد كان يباع الرجل وامراته وثلاث بنين وبنتان بثمانين ديناراً فقط ، ومن الخيل والبغال والغنم والبقر ، ما لم يوجد من يشتريها لكثرتها [31] .

3. أعاد الصليبيون التفكير الجدي بموقفهم من السلطان صلاح الدين الايوبي ، وعقدوا العزم على التفاوض معه لإنقاذ حياتهم ، وحياة من تبقى منهم في القدس وفي بعض المواقع الداخلية. وقام صلاح الدين الايوبي بقتل أرناط أمير الكرك وألقى برأسه أمام الملوك الآخرين، وذلك لمواقفه القذرة ضد المسلمين ، ولنقضه الدائم لكل اتفاق عقد مع المسلمين، بينما عفى عن بقية الملوك الصليبيين ، بعد أن أقسموا له بعدم محاربته ماعاشوا. [32]
4. كانت معركة حطين باباً لإنتصارات أخرى ، فقد توجه صلاح الدين الى طبرية ، واعطى الامان لصاحبتها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الاراضي كلها بالنصف.[33]، ثم توجه صلاح الدين الى عكا ، وقد صمم العزم على فتحها ، فطلب أهلها الأمان ، فوافق صلاح الدين على ذلك ، وصلى في مسجدها الجامع ، الذي كان قد حوله الصليبيون الى كنيسة . [34] ، كما شرع صلاح الدين بفتح مدنٍ أخرى من أجل تعزيز موقفه العسكري والاستراتيجي ، وذلك بالتخلص من كل المواقع العسكرية الصليبية التي يمكن ان تشكل عليه خطراً اذا ما هاجم القدس في المستقبل القريب . ومن بين هذه المدن مجدلية ويافا وتبنين وصيدا وصور وجبيل وبيروت وعسقلان ، فضلاً عن حصون أخرى كانت تقطع الجسد الاسلامي ، أمثال الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والداروم وغزة ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويبغى وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان تحت سيطرة الداوية تمهيداً لفتح بيت المقدس [35]
5. سيطر صلاح الدين الايوبي على صليب الصلبوت الذي يدعي النصارى ان السيد المسيح عليه السلام قد صلب عليه ، وهو من الخشب المرصع بالجواهر، وارسله الى مدينة دمشق ليودع في قلعتها [36]
6. قام السلطان صلاح الدين الايوبي بعد انتصاره في حطين بزيارة قبر النبي شعيب عليه السلام ، وقام بإعادة تنظيم المناطق المحررة وعين عليها العمال [37] .
7. لقد ساهم انتصار المسلمين بقيادة صلاح الدين ، دوراً في تعزيز قوتهم على المنطقة المحررة ، ورفع روحهم المعنوية للتصدي للصليبيين ، واعادة عدد كبير من الاسرى من أسر الصليبيين .
8. الاستعداد لفتح القدس بعد السيطرة على معظم القلاع والحصون الصليبية ، كما عزز انتصار صلاح الدين في حطين ، التحاق معظم العساكر المتواجدة في الساحل به مما عزز

موقفه في فتح القدس ، منطلقاً من حديث الرسول محمد ﷺ [38] ، ((من فتح له باب خير فلينتهزه ، فانه لايعلم متى يغلق دونه)) [39]

9. بعد الانتصارات التي حققها صلاح الدين الايوبي ، ظهر كقائد للجيوش الاسلامية ، واصبح رمزاً اسلامياً يقتدى به على مدى الدهور اللاحقة ، فكل حركة تحركها صلاح الدين ضد الوجود الصليبي في الشام ، كانت خطوة يحتذى بها من قبل من يريد أن يعيد للامة الاسلامية مجدها وازدهارها على مر الايام ، فقد كسر شوكة الصليبيين قبل وبعد حطين [40].

فتح القدس الشريف :

يعد فتح القدس الشريف من أهم وأروع نتائج معركة حطين ، اذ لم يبق أمام المسلمين عائق كبير يحول بينهم وبين القدس ، بعد انتصارهم في معركة حطين ، وتحريرهم لما يجاور القدس من مواقع وحصون صليبية. لقد كان لتصميم صلاح الدين دور مهم في تحرير القدس الشريف ، وقد أشار عليه المنجمون ان لايقوم بهذا العمل وحذروه منه ومن مغبته ، اذ قالوا له : ان من يفتح القدس سيفقد احدى عينيه ، فقال لهم : رضيت أن أفتحه وأعمى . [41]

وقد توافق في سنة تحرير القدس الشريف علامات قلما تتوافق في تزامنها ، منها ان اول السنة الهجرية توافقت مع اول السنة الميلادية والفارسية، وكان القمر والشمس في الحمل، وهذا مما يبعد وقوعه ،[42] ، ولو ان المسلمين لايعولون كثيراً على مثل هذه الظواهر ، وقد رفض عدد من الخلفاء والسلاطين رأي المنجمين في معارك مصيرية وحققوا نجاحا باهرا ، على عكس ما توقعه المنجمون لهم .

أمر السلطان صلاح الدين معظم القوات الاسلامية بالتجمع ، من مختلف مناطق الساحل ومن المناطق غير المهددة من القوات الصليبية باللحاق به للتوجه الى مدينة القدس ، ولما تجمعت لدية القوات ، قام بتنظيمها وترتيبها ، وعين القيادات الكفوءة والمتمرسة على قتال الصليبيين، على القطعات العسكرية ، ثم سار الى القدس يوم الاحد الخامس عشر من شهر رجب[43] ، من سنة 583هـ/1187م ، وعسكر بالجانب الغربي من مدينة القدس ، تصحبه فرق الخيالة والمشاة ، وقد تجاوز عددهم ستين الف مقاتل [44]

وكان في مدينة القدس بطريك الصليبيين ، الذي كانت منزلته عند الصليبيين تفوق مكانة ملك بيت المقدس ، وهم يعظمونه أشد التعظيم ، فضلاً عن باليان بن بيرزان صاحب الرملة ، والذي يقارب الملك في مرتبته ، فضلاً عمن نجا من معركة حطين ومن تسلل الى القدس من المناطق المحررة فضلاً عن سكانها ومالكيها من الصليبيين [45] ، وقد كان هؤلاء الصليبيون في

حالة من الاستماته للدفاع عن القدس ، إذ لم تبق لهم غيرها في داخل بلاد الشام من المدن التي يعتصمون بها ، وقد حصن هؤلاء القدس ونصبوا المنجنيقات على أسوارها [46] .

وبعد استطلاع موقع المدينة لدراسة الموقف العسكري ، قرر قادة الجيش الاسلامي ضرورة التحول من الجانب الغربي الى الجانب الشمالي ، وذلك في العشرين من شهر رجب، أي بعد خمسة ايام من وصول صلاح الدين الى القدس ، دون ترك بقية الجوانب الاخرى مهملة ، بل ترك قوات عسكرية لتشاغلها ، وتمّ نصب المنجنيقات ، وتهيئة الرماة واعدادهم ، ثم بدأ الهجوم على المدينة ، وبدأت الدبابات بالاقتراب من السور مما يلي وادي جهنم ، واخذ العمال بداخلها بنقب سور المدينة مما يلي وادي جهنم[47] والذي يقع الى الجنوب والجنوب الغربي من مدينة القدس[48] في قرية شماليه[49] ، إذ ارتأت قيادة جيش صلاح الدين وعلى رأسهم صلاح الدين نفسه ، اختيار هذا الموقع لأنه أوسع للمقاتلين وأيسر للحركة ، كما تمّ تقسيم سور المدينة كلها على الجيش ، وخصص لكل فرقة عسكرية واجباً محدداً ، وهذا يذكرني بتقسيم الجيش الذي رافق الخليفة المعتصم بالله ، عندما فتح مدينة عمورية ، فكانت كل القوات الاسلامية ، في حالة قتال دائم حسبما يراه العدو ، بينما الحقيقة ان القتال يتركز على جهة واحدة ، بينما بقية القطعات الاسلامية في حالة مناوشة ، وهي تقريباً في حالة استراحة، فيما يتم تبديل القوات المنهكة تحت جنح الظلام دون شعور إو إنتباه العدو لذلك[50].

وقد أدرك الصليبيون ان ليس لهم خيار الا الحرب ضد السلطان صلاح الدين الايوبي ، فلربما تجلب لهم هذه المعركة النصر ، بعد الخسارة العظيمة التي لم يروا مثلها في معركة اليرموك ، واشتد القتال ، وقد بذل كل طرف كل ما لديه من قدرات عسكرية ، وكانت المبارزات من بين أعنف تلك المواجهات ، فكان الفرسان الصليبيون يبرزون للقتال ويظهر مقابلهم من المسلمين ، وقد أدت بعض هذه المبارزات الى استشهاد عدد من أبطال المسلمين [51] ، كان أشهرهم الامير عز الدين عيسى بن مالك ((وهو من اكابر الامراء ، وكان ابوه صاحب قلعة جعبر ، وكان يصطلي القتال بنفسه كل يوم)) ونتيجة لإستشهاده ، فقد حمل المسلمون حملة رجل واحد فدفعوا الصليبيين من اماكن تمركزهم ، وطاردوهم الى ان ادخلوهم القدس ، فوصل المسلمون الى الخندق ، وتم نقب السور كما ذكرنا آنفاً ، وقامت المنجنيقات بتغطية تقدم الجيش الاسلامي وحماية الفعلة تحت الاسوار في الدبابات الخشبية ، وتم احداث فجوة في السور في الناحية الشمالية الشرقية ، واحرقت وسقطت وظهر البرج ، فهال ذلك المشهد الصليبيين وامرائهم [52] ، واخذ الجيش الاسلامي يأسر ويقتل الصليبيين من تلك الناحية [53]

ونتيجة لما حدث جراء المعارك المستمرة بين الصليبيين وبين الجيش الاسلامي بزعامة السلطان صلاح الدين ، ولعدم وصول أية نجدات صليبية من بعض مواقع بلاد الشام المتبقية والتي حُيِدَ أغلبها ، اجتمع الامراء الصليبيون ، بعد ان تأكدوا ان الهلاك هو مصيرهم المحتوم

وقرروا طلب الصلح والاستسلام على وفق شروط صلاح الدين الايوبي ، وتسليم بيت المقدس الى المسلمين[54] . إلا ان السلطان رفض طلبهم ، وقال لهم : انه يريد ان ينتزع بيت المقدس منهم كما انتزعوه هم اول مرة((ولأفعلن بكم كما فعلتم بأهله حين ملكتموه عند احتلاله، من القتل والسبي ، وجزاء السيئة بمثلها))[55] .

فلما عرف الصليبيون مطالب صلاح الدين الايوبي ، طلبوا مقابلته ، وأرسلوا له احدهم فاذن له السلطان وهو باليان بن بيرزان ، فطلب من صلاح الدين الامان فرفض صلاح الدين فتوسل بيرزان وتذلل فلم يرحم [56] ، عند ذلك قال بيرزان لصلاح الدين: ((ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لايعلمه الا الله تعالى ، وانما يفترون عن القتال رجاء الامان، وهم يكرهون الموت ويرغبون الحياة ، فاذا رأينا الموت لابد منه ، فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تغنمون منها ديناراً واحداً ولا درهماً ولا تسبون ولا تأسرون رجلاً ولا إمراة ، واذا فرغنا من ذلك اخربنا المسجد والصخرة وغيرها من المواضع ، ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه ، ثم خرجنا اليكم فقاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه ، وحينئذٍ لايقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاءً أو نظفر كراماً . [57]

اتفاقية تسليم بيت المقدس :

بعد سماع السلطان صلاح الدين الايوبي لكلام بيرزان ، استشار اصحابه لأنه سار على مبدأ المشاورة في جميع اموره ، ولم يتخذ يوماً ما قراراً فردياً ، وتم طرح عدة آراء ، تم اختيار أفضلها[58] فأجمعوا على اعطاء اهل القدس الأمان بشرط فدية ، يدفع الرجل عشرة دنانير سواءً كان غنياً أم فقيراً ، ويدفع عن الطفل ذكراً كان أم انثى دينارين ، وتدفع المرأة خمسة دنانير ، ومن أدى ذلك فقد نجا ، ومن مضى عليه اربعون يوماً ولم يدفع فديته فقد صار مملوكاً ، ودفع بيرزان ثلاثون الف دينار عن الفقراء ، فقبل صلاح الدين منه ذلك [59] ، ويغادر الخارجون الى مدينة صور وتترك الاسلحة والغلات والدور للمسلمين [60] وكان مجموع من اسر بهذا الشرط ستة عشر الف من الرجال والنساء والولدان [61] كما خصصت كنيسة القيامة وبعض الاماكن الاخرى للصليبيين لزيارتها متى ارادوا [62] ..

ودخلت الجيوش الاسلامية مدينة القدس في السابع والعشرين من شهر رجب سنة خمسمائة وثلاث وثمانون للهجرة الشريفة [63] ، وهو نفس يوم الاسراء والمعراج ، وكان يوماً مشهوداً في التاريخ الاسلامي ، ورفعت الاعلام والشارات الاسلامية بهذه المناسبة الخالدة[64]، عسى الله ان يعيد هذه الذكرى بتحرير المسجد الاقصى من دنس اليهود الصهاينة انه على كل شيءٍ قدير.

وقد نظف المسجد الاقصى مما لحقه من عبث الصليبيين ، ورفعت الصلبان التي علقت فيه ، وقلع صليب الصلبوت من على قبة الصخرة [65] ، وطمست صور الخنازير التي رسمت فيه ، وحطمت دور الداوية التي كانوا قد بنوها غرب المحراب الكبير واتخذوا المحراب مشتاً لهم ، واعيد الى ما كان عليه في ايام السيادة الاسلامية في القدس ، وغسلت قبة الصخرة بالماء وماء الورد والمسك الفاخر، وظهرت للعيان بعد ان كانت مخبأة والصليب معلق فوقها[66]، ويشير سبط ابن الجوزي الى ان الذي تولى غسلها بماء الورد هو السلطان صلاح الدين، ثم مسحها بلحيته ، وهو يبكي ، وقام السلطان بتعمير المسجد الاقصى وجدد ما تعرض له من هدم ودمار ، كما فرق الاموال التي اخذها من الصليبيين على العلماء والفقهاء والصوفية ، والتي تربو على الثلاثمائة الف دينار [67] ، كما بنى السلطان مدرسة للشافعية في القدس وخصص لها الاوقاف [68] ، وخُطِبَ للخليفة العباسي الناصر لدين الله وللسلطان صلاح الدين الايوبي ، وتولى الخطبة القاضي محي الدين بن زنكي [69] ، واقيمت هذه الصلاة في الرابع عشر من شعبان [70]

التسامح الديني الذي ابداه صلاح الدين والمسلمون والعنف الصليبي في القدس :

بعد حصار دام اكثر من شهر احتلت القدس من قبل الصليبيين في عام 492هـ/1099م ، وقاموا بمذبحة مروعة اذهلت الصليبيين انفسهم ، وقد استمرت المذبحة قرابة اسبوع ولم يستثن طفل او شيخ او مقاتل او امراة ، وقد دخل الصليبيون كنيسة القيامة يصلون وأيديهم ملطخة بالدماء [71] ، وكان كثير منهم من العلماء والزهاد والمرابطين فيها ، حتى لقد قيل بان عدد من قتل فيها قد جاوز السبعين الف مسلم [72] ، وقد اثارت بحيرات الدم التي تركها الغزاة مشاعر الصليبيين الآخرين الذين راعهم هذا المنظر وهذه المعاملة التي لاتمت الى أي دين بصلة [73]

كما قام الصليبيون باضطهاد سكان المناطق التي خضعت لهم بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وهذا ما يفسر لنا رفض صلاح الدين طلب الصليبيين في بادىء الامر الصلح معه[74]، كما نهب الصليبيون كل ما امكنهم نهبه من مسجد قبة الصخرة من القناديل الفضية والذهبية والبسط والسجاجيد والآثاث ما يفوق الحصر [75] ، وكذلك نهبت الاسواق والممتلكات العامة والخاصة في القدس .

أما صلاح الدين والمسلمون فقد ذهبت اخبارهم وحسن معاملتهم الى ابعد مكان في العالم في ذلك الوقت ، لقد ابدى صلاح الدين تسامحه ليس مع العامة حسب بل مع الملوك ، فقد اطلق سراح ملكة بيت المقدس وسمح لها باللحاق بزوجها المسجون بنابلس ، حيث كان اسيراً واصبح ملكاً بسببها وسمح لها بأخذ اموالها ، واطلق اموال زوجة ارنالد الذي اعدمه بسبب نقضه للمواثيق ، كما سمح لبطريك الصليبيين بحمل اموال الكنيسة معه [76] ، كذلك اطلق صلاح الدين

بنات الملوك ونساءهم واطفالهم وابدى تسامحاً كبيراً معهم [77] ، اذهل بعض المستشرقين الذي وصفه أحدهم بأنه : ((رجل دولة حكيم ، فعامل القدس وسكانها معاملة ارق واخف مما عاملهم الغزاة الصليبيون حين انتزعوا المدينة من حكم مصر قبل ذلك بنحو مائة سنة)) [78] ، وكان هذا سبباً في تزيين صورة صلاح الدين والمسلمين في الغرب ، اذ تغنت الاساطير والملاحم بشهامة صلاح الدين وعطفه وتسامحه [79]

اثر تحرير القدس على الوضع العربي :

كان لمعركة حطين تأثير واضح على الوضع العربي الاسلامي يمكن أن نتناوله من اربعة وجوه هي :

1. الجانب الديني :

شكلت القدس مكاناً مقدساً لدى المسلمين خاصة ، وذلك لانها اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين بعد مكة والمدينة ، وهي المكان الذي اسري اليه الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ قبل ان يُعرج به الى السماء فقال تعالى : ((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير)) [80] ، وهو من المساجد التي تشد اليها الرحال ، فقال الرسول محمد ﴿ﷺ﴾ : ((لاتشد الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى)) [81] ، ولهذا فبعد ان احتل القدس الشريف، اصاب المسلمون جرحاً كبيراً ، لم يندمل الا بتحريره ، وقد حُرِرَ من يد الصليبيين في ليلة الاسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب الحرام فسبحان الله رب العالمين [82] ، وقد زفت بشرى تحريره الى جميع ارجاء العالم الاسلامي ومنها بغداد مقر الخلافة العباسية وغيرها . [83]

وقد حكم المسلمون مدينة القدس قرابة الخمسة قرون ، ومنحوا الحرية لسكانها من المسلمين وغيرهم وتركوا المعابد كلها كما وجدوها ، ولم يتجاوز المسلمون على الاوقاف النصرانية او اليهودية ، ودلالة قولنا هو وجودها الى الوقت الحاضر [84] .

2. الجانب السياسي

آ. وحدة بلاد الشام :

شكل احتلال بيت المقدس انهياراً سياسياً كبيراً في بلاد الشام خاصة وفي المنطقة عامة، فتقطعت أوصال الجسد الاسلامي بهذا الاحتلال ، بشكل لم يسبق له مثيل ، حتى في ظل الاحتلال الصهيوني في الوقت الحاضر ، فلم يعد التاجر يتنقل بتجارته بحرية بين أرجاء بلاد الشام ، وحتى المناطق التي لم يطالها الاحتلال ، كانت عرضة للهجوم والسلب والنهب ، في احيان كثيرة كانت تنطلق العصابات الصليبية الى المناطق الاسلامية لتعبث في مزارعها ومواشيها ، وتهجم على القوافل التجارية المارة بين مختلف المناطق الاسلامية تقتل وتأسر من تقع أيديها عليهم .

كما شكل الاحتلال الصليبي للقدس قطع الاتصالات بين مختلف المناطق الاسلامية ، ومنع من تكوين أية وحدة عسكرية أو سياسية للدفاع عن النفس دون تحرير البلاد من دنس الصليبيين ، وكم تعب صلاح الدين الايوبي لضم مصر والموصل الى بلاد الشام لتشكل وحدة عسكرية ، وليكون له عمق استراتيجي يستطيع الانطلاق منه لمجابهة الصليبيين . وما نهب القافلة التي تحدثنا عنها فيما سبق الا تأكيداً لما ذهبنا اليه .

ب. استمرار الفتوحات الاسلامية :

بعد ان رتب السلطان صلاح الدين الايوبي أمور مدينة القدس ، وضبط القوات المتواجدة معه ونظم امورها ، تطلع بنظره صوب مدينة صور [85] ، فسار صلاح الدين الى مدينة عكا ونظم امورها ورتب الجند فيها ، ولاحظ الاعمال الجارية لترميم اسوارها ، وغادرها في الخامس من رمضان في نفس سنة الفتح ، وعسكر بالقرب منها منتظراً وصول العساكر من مختلف المناطق التي ندب اهلها للجهاد معه [86] ، وكانت مدينة صور هي المدينة القوية على الساحل ، وقد تجمع فيها كل الصليبيين النازحين من القدس ، والمناطق التي حررها صلاح الدين الايوبي [87] ، وقد أدرك المركيش صاحب صور ، أن أنظار صلاح الدين ستتجه الى صور عاجلاً أم آجلاً ، لذا أمر بتحصينها وترميم ما تهدم من اسوارها ، فضلاً عن مناعتها الطبيعية ومناعة اسوارها ، ولما علم المركيش بمسيرة صلاح الدين اليها ، قام بحفر الخنادق حولها [88] .

وعندما اكتملت العساكر لدى صلاح الدين الايوبي تحرك في الثاني والعشرين من رمضان صوب مدينة صور ، وحاصرها بحراً وبراً ونصب المنجنيقات التي أخذت تدك أسوارها وقلاعها ، وواجه مقاومة شديدة ، إضطرته لإستدعاء اخيه الملك العادل من القدس بمن معه من

قطعات ، لإحكام السيطرة على صور ودك أكبر معاقل الصليبيين في الشام ، فوصلها في الخامس من شوال [89].

وكان صلاح الدين يراقب القتال من تل قرب صور ، ويأمر بتوجيه القطعات ، وسد الخلل فيها ، ودعم القطعات التي تحتاج الى الدعم ، ثم حدثت ثغرة استغلها الصليبيون ، فهاجموا الاسطول المصري ليلاً واسروا قائده ، وسيطروا على خمس قطع منه ، واستشهد عدد كبير من رجاله ، وكان الوقت شتاءً ، والمطر غزيراً ففت هذا في عضد المهاجمين ، فجعل البعض منهم يفتر عن القتال ، عندها قرر صلاح الدين رفع الحصار عن صور والعودة الى عكا ، وهنا تتجلى حكمة القائد المسلم الذي لايسمح بمزيد من التضحيات دون مسوغ معقول ، فصلاح الدين حريص على جنده أكثر من الجند أنفسهم لأنهم أمانة في عنقه [90] .

رفع صلاح الدين الحصار عن مدينة صور ، وغادرها الى مدينة عكا ، وقضى فيها فصل الشتاء ، وتمتع جنده بقسط من الراحة مع عوائلهم ، وبعد مشاورات مع ابرز القادة الميدانيين في جيش صلاح الدين تقرر القيام باضعاف مدينة صور ، عن طريق تصفية المواقع الساحلية والداخلية التي تشكل دعماً مباشراً وغير مباشر لمدينة صور [91]

وبعد استكمال كافة الاستحضارات العسكرية ، توجه صلاح الدين الى مدينة انطرسوس[92] ، وعزم على فتحها، فوجه اليها عماد الدين زنكي من جانب البحر ، وعين على ميسرة جيشه مظفر الدين بن زين الدين ، وزحفوا اليها وباغتوها ، وصعد المسلمون على اسوارها ، وتمكنوا من السيطرة على قلعتيها الحصينتين . [93]

ثم انطلق صلاح الدين الى مدينة جبلة ، فوصلها في الثامن عشر من جمادى الاولى ، فحاصرها ، وكان في المدينة مسلمون ولهم قاضٍ يحكم بينهم ، وبعد قتال شديد استسلمت المدينة [94] . ويبدو ان سكان هذه المدينة كانوا تابعين الى مدينة صور ، او ان القوات الاسلامية اعانت صلاح الدين على القوات الصليبية فيها . وبعد السيطرة على جبلة ، انطلق صلاح الدين الى مدينة اللاذقية [95] ، فوصلها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى ، وكانت بلداً جميلاً حصيناً ، وبدأ بحصارها ونقب أسوارها ، ونظراً لقوة أسوارها إذ بلغ طول النقب ستين ذراعاً وعرضه اربعة أذرع ، فلما رأى سكانها هذا الجد في حربهم طلبوا الامان وسلموا المدينة الى السلطان صلاح الدين الايوبي [96] ، وبعد أن رتب صلاح الدين الايوبي أمور اللاذقية ورتب فيها العساكر لحمايتها توجه الى صهيون [97] ، فوصلها في التاسع والعشرين من شهر جمادى الاولى ، وبعد حصار دام عدة ايام فتحها في الثاني من جمادى الآخرة ، وتوجه الى القلعة وحاصرها ، فطلب سكانها الصلح ودفع الجزية بنفس شروط بيت المقدس ، وظل صلاح الدين في القلعة وارسل قواته لفتح قلاعٍ عديدة منها العيذو [98] ، وبلاطنس [99] ، وهي من المناطق التابعة لمدينة صهيون [100] ، ثم غادرها باتجاه قلعة بكاس[101] ، الحصينة والتي تقع على نهر

العاصي ، ونصب عليها المنجنيقات ، وقاتل الجيش الاسلامي فيها بنفس الهمة التي عرفت عنه ، في حال توفر القيادة الكفوءة ، وأبت هذه المدينة طلب الصلح ، أو حتى عرضه على صلاح الدين ، فتم فتحها عنوة ، وتمّ أسر سكانها ، ولم يقتل صلاح الدين احداً من سكانها الذين وقعوا اسرى بين يديه ، وهذا هو التسامح الاسلامي ، وكما نعرف ان من يحارب المسلمين ويستولي على بلادهم ويلقى القبض عليه يعدم ، لكن صلاح الدين اعتبرهم اسرى حرب فقط . ثم فتح صلاح الدين عدداً من القلاع المحيطة بها[102] .

توجه صلاح الدين بعدها بجيشه الى احدى القلاع الحصينة التي يضرب بحصانتها المثل ، في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة ، وتعرف ببرزية [103] ، ويضرب بها المثل في قوة حصونها عند المسلمين والصليبيين ، فضرب عليها الحصار ، وبعد قتال شديد استغرق مدة طويلة ، وتقسيم الجيش الى ثلاثة اقسام ، كل قسم يقاتل شطراً من النهار ، حتى تمّ له فتحها ، والقي القبض على صاحب القلعة ، وارسله الى ملك انطاكية ، اكراماً له [104] .

وواصل صلاح الدين تحرير مناطق اخرى من الحصون والقلاع المهمة فقد توجه في الثامن من رجب الى دربسك ، وهي من القرى القريبة من انطاكية ، واستطاع فتحها في الثاني والعشرين من رجب [105] ، توجه بعدها صلاح الدين الى قلعة بغراس [106] ، وتمتاز هذه القلعة بمناعتها وكثرة رجالها وعدتهم ، فنزل صلاح الدين في أحد مروجها ، وأعطى السلطان الامان لأهلها[107] ، ثمّ غادرها الى مدينة حلب ، فاستراح بها ثلاثة أيام ، استعداداً للقيام بفتوحات اخرى[108] ، ثمّ توجه الى حماة ، وغادرها الى دمشق ، ثم الى بعلبك ، ثم توجه الى قلعة صفد ، والتي كانت مقراً للداوية[109]، وتطل على بحيرة طبرية فسيطر عليها ، توجه بعدها الى الكرك واعاد السيطرة عليها ، اذ كان الصليبيون قد سيطروا عليها بعد معركة حطين[110] ، ثم توجه الى حصن كوكب [111] ، فنزل على سطح الجبل واتخذ له موضعاً لاتصل اليه سهام العدو[112] ، وكانت هذه القلعة للاسبتارية[113] ، وكان هؤلاء من اشد الناس على المسلمين ، وقد عانى صلاح الدين وجيشه المصاعب في فتحها ، وقد عرض صلاح الدين الصلح وتسليم القلعة على الاسبتارية ، الا ان الصليبيين رفضوا هذا الطلب اول الامر ، فلما تمكن صلاح الدين من اسوار القلعة طلب الاسبتارية الصلح ، فوافق عليه صلاح الدين ، واصبحت كوكب في الخامس عشر من ذي القعدة لسنة خمسمائة واربعة وثمانين للهجرة/1188 للميلاد ، من ضمن املاك صلاح الدين الايوبي[114] ، وبهذه الاجراءات تمكن صلاح الدين من تصفية معظم القلاع والحصون الصليبية في الداخل أو تلك المطلة على الساحل ، فصبت اجراءاته في خدمة الهدف العام للمسلمين ، وهو اضعاف الوجود الصليبي ، وتقوية الجبهة الإسلامية في بلاد الشام [115]

3. الجانب الأدبي :

شكل تحرير القدس من يد الصليبيين دافعاً كبيراً للنشاط الأدبي الإسلامي ، اذ شكل تحريرها حدثاً كبيراً في المجتمع الاسلامي بشكل عام ، وابتهاجاً بعد أسر للمسجد الأقصى دام قرابة القرن من الزمان ، وكان لائقاً بهذا الحدث الكبير ، ان يثير في النفوس الاشجان ، فظهرت فعاليات ادبية بارزة ، وخاصة في مجال الشعر ، الذي كان سمة من سمات العصر في تلك الايام الخوالد ، فكان للشعراء دورٌ بارز في الابتهاج بهذا النصر من خلال توافدهم الى مجالس السلطان صلاح الدين الايوبي، وتعبيرهم عن فرحهم عن طريق اجادتهم بشعرهم، ومن هؤلاء الشعراء العماد الاصفهاني وفتيان الشاغوري ، وابن الساعاتي ، وابو الفضل عبد المنعم بن عمر الجلياني، ونجم الدين يوسف بن المجاور ، وابو علي الحسن بن علي الجويني، ومحمد بن اسعد بن علي الجواني ، والرشيد بن بدر النابلسي الذي قال قصيدة طويلة نقتطف منها :

هـذا الـذي كانـت الآمـال تنتظـر ... فليـوف لله أقـوامٌ بمـا نـذروا

بمثـل هـذا الفـتح لا والله مـا حكيـت ... فـي سالف الدهر أخبارُ ولا سير [116]

وقد ابتهجت بهذا الحدث العظيم مصر وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد عبر الشاعر جذلة عن ذلك بقوله :

ومـا فرحـت مصـر بـذا الفـتح وحـدها ... لقـد فرحـت بغـداد اكثـر مـن مصـر

فلـو لـم يقـم لله حـق قيامـه ... لمـا سـلمت دار السـلام مـن الـذعر

فمـن مبلـغ هـذا الهنـاء لمكـة ... ويثـرِبَ تُنهيـهِ الـى صـاحبِ القبـرِ [117]

ومن قصيدة ابن عنين والتي وصفت بانها من خيرة قصائد الحماسة والفخر والتي مطلعها :

سلوا صـهوات الخيـل يـوم الـوغى عّنـا ... اذا جهلـت آياتنـا والقنـى اللّونـا

لقـوا المـوت مـن زرق الاسـنة احمـرا ... فـالقوا بايـديهم الينـا فاحسـنا [118]

وقد رآى الشعراء في النصر الذي حققه السلطان صلاح الدين الايوبي ملحمة فريدةً ، كما رأوا فيه معجزة الهمتها قدرة الهية ، وهيأت لنصرها ، وأيدتها بملائكة كما حدث في معركة بدر الكبرى ، فيشير ابن سناء الى ذلك قائلاً :

شـهد النـاس انهـم شـاهدوا جـب ... ليـل ردّ الاقـران قرنـاً فقرنـا

فلكـم ضـربة ولـم تـر ضربـاً ... ولكـم طعنـة ولـم تـرَ طـعنا [119]

ويقول ابو الحسن علي الجويني :

جنـد السـماء لهـذا الملـك أعـوان ... مـن شـك فـيهم فهـذا الفـتح برهـان

متـى رأى النـاس مـا تحكيـه فـي زمـن وقـد مضـت قبـل ازمـانٍ وازمـان [120]

وقد شبه معاصرو صلاح الدين الارض بالمرأة والتي هي رمز الخصوبة والعطاء والانتاج وتخليصها من الذل والاغتصاب كتخليص المرأة وتحريرها.

جاءتـك ارض القـدس تطلـب ناكحـاً ياكفاهـا مـا العـذر مـن عـذرائها

زفـت اليـك عـروس خـدر تجلـت مـا بـين اعبـدها وبـين امائـها [121]

وقد قال محمد بن أسعد النسابة في تحرير القدس مادحاً صلاح الدين ورحمته بكنيسة القيامة :

أتـرى منامـاً مـا بعينـي أبصـر القـدس يفـتح والنصـارى تكسـر

وقمامـة قمّـت مـن الـرجس الـذي بزوالـه وزوالهـا يتطـهر

وملـيكهم فـي القيـد مصـفود ولـم يُـرّ قبـل ذاك لهـم مليـك يؤسـر [122]

وقد برزت الروعة الادبية في الخطابة ايضا ، ممثلة بالرسائل التي كتبها القاضي الفاضل الى الخليفة الناصر لدين الله بهذه المناسبة ومنها : ((أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ، ولا زال مظفر الجد بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقد ، وارد الجود وانسحاب على الارض غير وارد ، متعود مساعي الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لايمضي الا بنبل عفوي وريش راشد ، لازالت غيوث فضله الى الاولياء انواء الى المراتع وانواراً الى المساجد ، وبعوث رعبه الى الاعداء خيلاً الى المراقب وخيالاً الى المراقد))[123] .

وكذلك خطبة القاضي محي الدين بن الزكي بهذه المناسبة : ((الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الامور بامره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الايام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله في ظله ، واظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع)) [124]

وخلاصة القول فان انتصارات السلطان صلاح الدين المتوالية على الصليبيين ، قد حفزت الشعراء والادباء على اظهار مواهبهم الادبية ، فكثيراً ما تؤثر الاحداث الجسام دوراً في انفتاح قريحة الشعراء والادباء ، لإظهار مواهبهم وتسجيل هذه الاحداث بقصائد تظل على مدى الدهر خالدة ، كما حفزت هذه الانتصارات أيضاً على عقد مجالس ادبية تلقى فيها القصائد في البلاط الايوبي ، سجلتها كتب الادب ، فكان أن أغنت المكتبة العربية بفنون أدبية جميلة جداً [125]

4. الجانب الاقتصادي :

احدث تحرير القدس وبقية المواقع من ايدي الصليبيين ، انتعاشاً في اقتصاد الدولة الاسلامية ، فالجيش المنتصر في اية معركة ، لابد وان يحرز مكاسب اقتصادية ، فكيف بجيش قد حرر مدناً خضعت للاحتلال الصليبي قرابة قرن من الزمان ، ونستطيع ان نجمل مكاسب المسلمين في هذه المدة بما يلي :

1. الغنائم التي حصل عليها الجيش في المعركة من السلاح [126] والاموال والذخائر [127] واموال التجار الصليبيين واموال الملوك [128] .
2. العائدات التي حصل عليها المسلمون من خلال اتفاقية تسليم بيت المقدس ، والتي شكلت مبالغ كبيرة في ذلك الوقت [129] .
3. قيام صلاح الدين الايوبي بتفريق اموال ظخمة على العلماء والادباء وغيرهم ، مما كان له الاثر الكبير في رفع مستواهم المعاشي ، عما كان قبل تحرير القدس الشريف [130]
4. الواردات التي حصل عليها المسلمون من خلال العقارات التي تركها الصليبيون من دكاكين واسواق وحمامات كانت تدر مورداً كبيراً على الدولة الاسلامية ، وقد اوقف صلاح الدين الايوبي بعض هذه الاسواق والخانات على المدارس التي أنشأها في القدس وغيرها من مدن الشام [131] .
5. نمو النشاط التجاري والزراعي في بلاد الشام ، إذ كانت معظم نشاطات هذا الجانب تعود للصليبيين في السابق ، أما الآن فأخذت تعود للدولة الاسلامية ، وأخذ التجار والفلاحون والصناع يزاولون نشاطهم بكل حرية مطمئنين الى أن عائدات اعمالهم تعود لهم وللدولة الاسلامية ، وليس للصليبيين كما كانت من قبل ، فاندفعوا لتحسين وضعهم الاقتصادي .

5. الجانب الديني :

وكما كان لبث روح الجهاد والحماس لمقاتلة المحتل الصليبي وأثره في نفوس المسلمين دور مهم في تحرير بيت المقدسمن الصليبيين سابقاً ، فان المسلمين اليوم في فلسطين بشكل خاص والعرب بشكل عام في وقتنا الحالي ، فهم لايقلون حماساً واندفاعاً نحو القدس التي لازالت مكانتها كما كانت في السابق في نفوس وضمائر المسلمين في شتى بقاع الارض، بل ان هذا الحماس قد اصبح اكبر مع عظم التحديات والتحالفات المشكلة ضد الاسلام بدعوى العنف تارة والارهاب تارة اخرى . واهم حافز يتحلى به الفلسطينيون هو الصمود امام الاحتلال الصهيوني ومن يقف وراءه، ففي السابق كان عدد الصليبيين وعدتهم أكثر مما عند المسلمين ، لكنهم باصرارهم وايمانهم انتصروا عليهم ، واليوم يتكر الشيء نفسه ،ولا يوجد أي اختلاف ، فمن

الطبيعي ان يكون رد الفعل على هذا العدوان هو أكبر كما كان في السابق والله ناصر المسلمين ولو بعد حين وان غدا لناظره قريب .

أثر تحرير بيت المقدس على الوضع الاوربي :

لقد كان لتحرير بيت المقدس على الوضع الاوربي انعكاسات خطيرة ، فكما نعلم أن البابوية كانت أشبه بالامبراطورية الخفية التي تحكم وتسيطر وتقرر مصير الحكام والناس ، وترفع من قدرهم وتحطه تبعاً لموقفهم من الكنيسة ، وتمنح الجنة ، وتبيع صكوك الغفران للناس ، وقد اعدت الكنيسة الحملات الصليبية ، وجهزتها بالاموال وحثت الناس على المشاركة فيها ، وتوعدت من يخالفها ولا يسير ضمن خطاها ، فما هو موقف الكنيسة من تحرير أهم معقل صليبي في القدس ؟ لقد جن جنون الكنيسة في روما ، إذ ذهبت آمالها ادراج الرياح . والآن نتلمس اهم تأثيرات تحرير بيت المقدس على الوضع العام في اوربا.

1. لقد منيت اوربا بهزيمة عسكرية مرة نتيجة تحرير بيت المقدس ، بعد ان كان في حسابهم ان بلاد المشرق قد اصبحت معسكراً دائماً لهم ، وسوقاً لترويج بضائعهم ، ومخزناً للمواد الاولية لصناعاتهم .
2. لقد شعرت البابوية وملوك اوربا بالأسى والمرارة ، والمتخاذل تجاه اخوانهم الصليبيين في بلاد الشام ، وكان ذلك مدعاة لقيام حملة صليبية ثالثة توجهت الى بلاد المشرق [132] ، إذ بادرت البابوية الى ارسال منشورات الى مختلف دول ومدن اوربا [133] ، ونتيجة لهذا النداء فقد قرر ملكا فرنسا وانكلترا الاشتراك في هذه الحملة ، على رغم ما بينهما من خلاف شديد وعداوة عظيمة ، ولكنهما امام المسلمين موحدون ، فاعتبروا يا اولي الالباب من الغرب وكفوا عن الركض وراءه والتعلق بطروحاته ، فعلينا ان نقتدي بأعدائنا ، وان نتوحد في مواجهتهم ، لا ان نتفرق ونتقاتل بيننا من اجلهم ، كما توحد ملكا فرنسا وانكلترا في الاعداد للحملة الصليبية الثالثة ونسيا خلافاتهما ، في سبيل محاربة المسلمين.
3. خبت جذوة احياء الروح الدينية التي دعا لها البابوات منذ سنة 548هـ/1188م ، والتي اعتبرت ان الله سبحانه قد غضب على اوربا ، لأنها قد قصرت في حق الله ، ولهذا سقط بيت المقدس بيد المسلمين [134] ، وان الحل هو في التوبة الى الله من الذنوب والمشاركة في الحملة الصليبية التي ستعدها الكنيسة وهي الحملة الصليبية الثالثة ، ودعت الناس الى اصلاح انفسهم من الداخل والاعداد للحملة في الخارج . [135]
4. فرض ملوك اوربا بموافقة الكنيسة على كل مواطن في اوربا ضريبة اسموها بعشور صلاح الدين ، وتفرض هذه الضريبة على كل من لم يشارك في الحملة وينهض لنصرة الصليب

ضد المسلمين بنفسه ، فعليه ان يدفع هذه الضريبة عن طيبة نفس ورضى ، والذي لايدفع هذه الضريبة عليه المشاركة في الحملة [136] .

وقد أثارت عشور صلاح الدين استياءً كبيراً من الغضب في اوربا ، من قبل عامة الناس ، الى درجة انهم قذفوا جباة هذه العشور بالحجارة ،نظرالما كانوا يعانوه من ثقل الضرائب الاقطاعية والكنسية وغيرها ، مما ادى الى الغائها كلياً في فرنسا ، كما انتقل الاستياء من هذه الضريبة الى رجال الدين انفسهم ، الذين رأوا في جمع هذه الضريبة اعتداءً على امتيازاتهم وصلاحياتهم [137] ، لأنهم هم الذين لهم الحق في جمعها وليس ملوك اوربا ، ولأنهم يعرفون اين تذهب هذه الاموال ، لأنهم يطلعون على ما لم يطلع عليه المواطن الاوربي البسيط

5. لقد ابدى ملكا فرنسا وانكلترا رغبتهما في مساندة الملك جي لوزان [138] ، الذي وقع أسيراً في يد السلطان صلاح الدين الايوبي ، وقد رأى صلاح الدين حالة اليأس والقنوط والخوف الذي لايحتمله رجل من رجل مثله ، فكيف بملك امام ملك ، او رئيس امام رئيس ، لقد رق قلب صلاح الدين الايوبي لحال الملك جي لوزان ، عندما رآه يرتجف من الخوف اثناء اسره من قبل المسلمين ، فطمئنه وقدم له الماء المثلج بعد معركة حطين ، وقال له : ان الملوك لاتقتل الملوك ، وعفا عنه بعد ان وعده الملك جي لوزان واقسم له بالانجيل وبالصليب الذي كان امامه (صليب الصلبوت) ان لايرفع عليه سيفاً ، ولا يحشد عليه عدواً ابداً ، فأطلقه صلاح الدين بعد تلك الايمان المغلظة ، لكن الصليبيين لاعهد لهم !!! . فجمع هذا الملك قرابة 20000 الف مقاتل وجندهم لمحاصرة مدينة عكا [139]
6. لقد احدث تحرير القدس انشقاقاً بين دول اوربا الغربية والدولة البيزنطية ، فقد تحالف امبراطور الدولة البيزنطية مع صلاح الدين ضد هذه الحملة الصليبية (لأن الحملة الصليبية الاولى قد نهبت الاديرة والكنائس وممتلكاتها في كل المدن التي مرت بها ، وكان نصيب القسطنطينية هو الاوفر حظاً) ، لأن الامبراطور البيزنطي لم يشأ ان يكرر المأساة على القسطنطينية مرة اخرى [140] .
7. ادركت اوربا والكنيسة معاً أن النصر على المسلمين لايتم الا باستخدام سلاح آخر الا وهو سلاح الجنس ، من اجل اضعاف الروح القتالية للمسلمين ، واطفاء جذوة الجهاد عند المسلمين ، فقد انطلقت ثلاثمائة امرأة نذرن انفسهن للزنا ، ونصبن خيامهن قرب معسكر صلاح الدين الايوبي [141] .
8. لقد أبان تحرير القدس ان لاعهد عند الصليبيين ، ودليلنا هو غدرالملك جي لوزجان ، لمن مد يد العون له وأكرمه وقدره وعفا عنه ، إذ قام باعداد المقاتلين ضد صلاح الدين الايوبي .
9. لقد ابانت الحملة الصليبية الثالثة ضعف دور البابوية في الحروب الصليبية ، وان البساط قد سحب من تحتها ، وغلبت على الحملة المصالح الاقتصادية والسياسية [142] .

10. ظهرت خلافات بين دول اوربا الشمالية ودول اوربا الجنوبية للسيطرة على تجارة حوض البحر المتوسط [143] .
11. لقد رسم تحرير القدس خريطة هي عكس الخريطة التي أرادتها اوربا في بلاد الشام والمشرق الاسلامي ، وسعت هذه الخارطة لمحو آثار خارطة الحروب الصليبية ، وازالة مواقعها والى الابد في الارض الاسلامية [144] ، فعادت اوربا خائبة بعد ان خسرت الكثير من مواردها وخيرة شبابها في حرب ضروس لم تعرف الرحمة ، فعاد من عاد وهو محمل بروح القتل والانتقام ، التي نقلوها الى اوربا لتلف شعوبها ، ولتقتل من تقتل منهم ، ولتقوم نزاعات وحروب استمرت الى القرن العشرين .

الخاتمة :

لقد كان تحرير القدس حدثاً تاريخياً مهماً كونه اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقد احتل نتيجة للحملة الصليبية التي شنتها الكنيسة الغربية على ديار المسلمين ، وراء ادعاءات زائفة ، وشعارات خلابة ، لنقل مشاكلها التي كانت تعاني منها اوربا .

ولقد احدث تحريرها ، انقلاباً جذرياً في الحياة السياسية في بلاد الشام ، فبعد ان ظلت أسيرة قرابة قرن من الزمان ، جاءها صوت الحق ، بزعامة البطل المسلم السلطان صلاح الدين الايوبي ، فكانت معركة حطين الباسلة ، التي قلبت الكفة لمصلحة المسلمين ، فعندما توافرت القيادة الكفوءة ، والجيش المؤمن بقضيته ، يتحقق النصر بعون الله تعالى ، وهذا ما كان ، لقد احدثت معركة حطين وتحرير القدس ، انقلاباً شاملاً في كل مناحي الحياة في بلاد الشام ، وعادت الوحدة بين ارض الشام ومصر ، تحت راية الاسلام ، وفي ظل القائد صلاح الدين الايوبي .

فليكن هذا الحدث حافزاً لنا على تحرير مقدساتنا من ايدي المحتلين اينما كانوا ، وحافزاً لنا من اجل التوحد ونبذ الخصام والنزاع ، فعلينا نحن المسلمين ان نكون يداً واحدة كما كان صلاح الدين وجنده يداً على أعداء الأمة الإسلامية .

مصادر البحث و هوامشه :

(1) ولد صلاح الدين الايوبي في قلعة تكريت سنة 532هـ/ 1137م ، وكان والده والياً عليها ، ثم انتقلت الاسرة الى الموصل ومن ثم الى بلاد الشام .بهاء الدين ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، 1384هـ/1914م ص 6.

(2) www.wekipedia.org.p,1.

(3) عز الدين ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت 1384هـ/1964م،11/529–530.؛ابن كثير : البداية والنهاية ، بيروت (د.ت) 12/326. ؛ p1,12,33WWW.Wikpedia.Org28/11/2006,.

(4) ابن الاثير : الكامل 11/530.

(5) الاقطاع هو نظام اجتماعي اقتصادي سياسي ساد اوربا خلال قرون عديدة ، كرس الطبقية الإجتماعية ومبدأ التبعية ، وكل إقطاعية عبارة عن وحدة مستقلة .عبد الجبار محمد امير وآخرون :تاريخ اوربا في العصور الوسطى، مطبعة جامعة بغداد 1980م، ص 303.

(6) WWW.Wikpedia.Org ,p,1.

(7) ابن شداد :المحاسن ص 81 ، com,p1، . WWW.aleman.

(8) ابن كثير : البداية 12/320.

(9) خليل السامرائي وآخرون :تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ، مطابع دار ابن الاثير /الموصل ط/2 ص 341–342.

(10) ابن شداد : النوادر ص 75.

(11) ابن شداد :السيرة ص 75.

(12) ابن شداد : النوادر ص 75؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 7/174.

(13) ابن كثير : البداية والنهاية 12/320؛ المقريزي : السلوك 1/93.وقد ذكر ان عدد جيش صلاح الدين هو عدا المتطوعة . .wikiped.org.p,9

(14) ابن شداد : النوادر ص 77 .

(15) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان 1/393.

(16) ابن كثير :البداية والنهاية 12/320؛المقريزي : السلوك 1/93.

(17) ابن شداد : النوادر ص 77 .

(18) ابن الاثير : الكامل 11/533.

(19) ابن الاثير : الكامل 11/533–534 .

(20) الصنبرة :موضع بالاردن يبعد ثلاثة اميال عن طبرية.ياقوت : معجم 3/425.

(21) ابن شداد : النوادر ص 77 .

(22) ابن الاثير : الكامل 11/534.

(23)البداية ،12/321؛ سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة المعارف العثمانية ،حيدر آباد 1370هـ/1971 م،1/393،؛الاصفهاني : الفتح القسي ص 97.

(24) ابن الاثير : الكامل 11/535؛الاصفهاني : الفتح القسي ص 79.

(25) Wikipeda.org p.2.

(26) ابن الاثير : الكامل 536/11

(27).Wikipeda .org.p,2

(28) ابن الاثير : الكامل 537/11.

(29)ابن شداد :النوادر ص 77؛ ابن كثير : البداية 321/12.

(30) ابن الاثير : الكامل 538/11.

(31).www.altareek.com,p,2,19

(32) سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان 394/1؛ابن شداد : النوادر ص 78.ابن الاثير : الكامل 537/11؛ابن كثير : البداية 321/12؛ابو الفدا : المختصر 72/3.

(33) ابن كثير : البداية 322/12.

(34) ابن الاثير : الكامل 539/11؛ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب المكتبة التجارية بيروت (د.ت) ص 74–75؛جمال الدين ابي المحاسن بن تغري بردي :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة كوستاماس (د. ت) 104/6.القاهرة

(35) ابن الاثير : الكامل 538/11–546.تقي الدين احمد بن علي المقريزي :السلوك لمعرفة دول الملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1360هـ/1941م،94/1–95؛ابن كثير : البداية والنهاية 322/12.

(36)ابن الاثير : الكامل 536/11؛سبط ابن الجوزي :ذيل مرآة الزمان 393/1؛الاصفهاني : الفتح القسي ص 84؛ابن كثير : البداية والنهاية 321/12–322، 327. aleman .com.p,2

(37) ابن كثير : البداية والنهاية 322/12، .altareekh. Com p,2

(38) ابن خلكان :وفيات الاعيان 178/7.

(39)

(40) ابن شداد : النوادر ص 77،78.

(41)سبط ابن الجوزي : ذيل مرآة الزمان 397/1؛ ابن العماد : شذرات الذهب 274/4.

(42) ابن الاثير : الكامل 529/11؛جلال الدين عبد الرحمن السيوطي :تاريخ الخلفاء ،دار ابن حزم بيروت 1424هـ/2003م، ص 356.

(43) ابن خلكان : وفيات الاعيان 178/7.

(44) ابن خلكان : وفيات الاعيان178/7؛ابن شداد : النوادر ص 81.

(45)جمال الدين محمد بن سالم بن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، المطبعة الاميرية القاهرة 1379هـ/1957م 211/2.

(46) ابن الاثير : الكامل 547/11.

(47)ابن شداد :النوادر ص 81؛ابن خلكان : وفيات الاعيان 179/7.

(48)عز الدين ابي عبد الله الحلبي : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة،المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق 1382هـ/1962م 203/2.

(49) ابن شداد : النوادر ص 81.

(50) ابن الاثير : الكامل 547/11؛ابن كثير : البداية 323/12؛

(51)ابن كثير :البداية والنهاية 323/12؛ المقريزي : السلوك 96/1.

(52) ابن الاثير : الكامل 548/11؛ابن كثير : البداية والنهاية 323/12؛ابو الفدا : المختصر 72/3.

(53) ابن شداد :النوادر ص 81 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 179/7؛اليونيني :مرآة الزمان 397/1؛ aleman.com,p,10.

(54) عبد الله محمد سعيد الغامدي : صلاح الدين الايوبي والصليبيون ، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة 1405هـ/1985م ، ص 135.

(55) ابن الاثير : الكامل 549/11؛المقريزي : السلوك 96/1؛ابو الفدا : المختصر 73/3.

(56) ابن كثير : البداية والنهاية 323/12–324.

(57) ابن الاثير: الكامل 548/11–549.؛ابن كثير : البداية والنهاية 323/12؛ابو الفدا:المختصر 72/3–73.

(58) الغامدي :صلاح الدين ص 135.

(59)ابن الاثير : الكامل 549/11؛ المقريزي : السلوك 96/1؛ابو الفدا : المختصر 73/3.

(60)ابن كثير : البداية والنهاية 323/12–324.

(61) ابن كثير : البداية والنهاية 324/12.

(62) سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان 397/1.

(63) ابن الاثير : الكامل 549/11؛ابن كثير : البداية والنهاية 324/12؛ابن شداد : النوادر ص 82.

(64) ابن كثير : البداية والنهاية 324/12.

(65)ابو الفداء : المختصر 73/3.

(66)ابن كثير : البداية والنهاية324/12.

(67) مرآة الزمان 398/1.

(68)المقريزي : السلوك 97/1.

(69) المقريزي : السلوك 97/1.

(70) المقريزي : السلوك 97/1؛ابن كثير : البداية والنهاية 324/12.

(71)سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ،1383هـ/1963م 249/1.؛ارنست باركر :الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1387هـ/1967م ص 36.

(72)محمد عمارة : الحروب الصليبية مواقف وتحديات ، دار التوزيع والنشر الاسلامية القاهرة 1423هـ/ 2003م ص 134–135.؛ خاشع المعاضيدي وآخرون : الوطن العربي والغزو الصليبي ، دار الكتب الموصل 1401هـ/1981م ص46.

(73)عمارة : الحروب الصليبية ص147.

(74) ابن الاثير : الكامل 539/11–555.

(75) ابن الاثير : الكامل 247/11–248؛المعاضيدي : الوطن العربي ص 46.

(76) ابن الاثير : الكامل 550/11–551.

(77) ابن كثير : البداية والنهاية 324/12.

(78) ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين دار التقدم موسكو 1407هـ/1986م ص 192.

(79) زابوروف : الصليبيون ص 193.

(80) سورة الاسراء / آية 1 .

(81)المعجم المفهرس للحديث النبوي الشريف 429/2 .

(82) ابن شداد : النوادرص 82؛ابن خلكان : وفيات الاعيان 179/7؛ابن كثير : البداية والنهاية 324/12.

(83) المقريزي : السلوك 98/1.

(84)محمد علي خلّة :القدس الشريف حقا ئق التاريخ وآفاق المستقبل، www.kotobarabia.com, 2/2/2007 ,18;24 GMT. ,

(85)مدينة مشهورة من ثغور المسلمين ، تطل على بحر الشام وهي محصنة جداً ياقوت : معجم 434/3.

(86) ابن شداد : النوادر ص 83.

(87)ابن الاثير : الكامل 553/11.

(88)ابن الاثير : الكامل 553/11.

(89)ابن شداد : النوادر ص 83.

(90) ابن شداد :النوادر ص 84؛ابن الاثير : الكامل 555/11؛ابو الفدا: المختصر 73/3؛ al-eman.com,p,1 .

(91)ابن شداد :النوادر ص 84؛ابوالفدا: المختصر 73/3.

(92) انطرسوس : من سواحل الشام لها برجان حصينان كالقلعتين .ياقوت : معجم 270/1.

(93)ابن شداد : النوادر ص 87.

(94)ابن شداد : النوادر ص 89.

(95) اللاذقية :مدينة على بحر الشام من اعمال حمص غربي جبلة : ياقوت : معجم 5/5.

(96) ابن شداد : النوادر ص 90.

(97)صهيون:موضع في البيت المقدس ، وفيه كنيسة صهيون.ياقوت : معجم 436/3.

(98) العيذو: قلعة بنواحي حلب :ياقوت : معجم 171/4.

(99) بلاطنس :حصن مقابل اللاذقية من اعمال حلب .ياقوت :معجم 171/4.

(100) ابن شداد :النوادر ص 91.

(101) بكاس : قلعة من نواحي حلب على شاطيء العاصي ، ولها عين تخرج من تحتها .ياقوت : معجم 474/1.

(102) ابن شداد : النوادر ص 91.

(103) برزية : حصن شامي حصين على جبل شاهق تحيطه الاودية ياقوت : معجم 383/1.

(104) ابن شداد : النوادر ص 93.

(105) ابن شداد : النوادر ص 93.

(106) بغراس : مدينة من جبل اللكام ، على يمين القاصد الى انطاكية من حلب، من البلاد المطلة على طرسوس . ياقوت : معجم البلدان 467/1.

(107)ابن شداد :النوادر ص 94.

(108) ابن شداد : النوادر ص 94.

(109) طاءفة من الفرسان الصليبيين ظهرت كتشكيل جديد نتيجة للحروب الصليبية وحاجتها للمقاتين عاشور :الحروب الصليبية 500/1.

(110) ابن شداد :النوادر ص 95؛ابن الاثير : الكامل 559/11.

(111)كوكب : قلعة على الجبل المطل على بحيرة طبرية ، وهي من القلاع الحصينة .ياقوت : معجم 494/4.

(112) ابن شداد : النوادر ص 96.

(113) الاسبتارية هيئة خاصة للعناية بالجرحى الصليبيين وعلاجهم ، تحولت فيما بعد الى منظمة عسكرية هدفها تهيئة الفرسان ةاعدادهم للقتال ضد المسلمين . عاشور : الحروب الصليبية 500/1.

(114) ابن شداد :النوادر ص 96؛ابن الاثير : الكامل 559/11 ؛ .al-eman.com.p,12-13

(115) عمارة : الحروب الصليبية ص 280.

(116) ناظم رشيد :المجالس الادبية في عصر صلاح الدين، مجلة المورد بغداد 1408هـ/1988م مجلد 17 عدد/3 ص8.

(117) رشيد :المجالس ص 9 .

(118)رشيد :المجالس ص 9 .

(119) ابو شامة ،شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، بيروت ،دار الكتب العلمية ،1422هـ/2002م 238/3.؛هادية دجاني : الصراع الاسلامي – الافرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (د.ت) ص 325.

(120)دجاني :الصراع ص 325.

(121)دجاني : الصراع ص 325 .

(122)السيوطي : تاريخ الخلفاء ص 356.

(123) ابن خلكان : وفيات 180/7.

(124)ابن شداد الاعلاق الخطيرة 211/2.

(125) رشيد : المجالس ص 13.

(126) ابن الاثير : الكامل 539/11.

(127)ابن شداد : النوادر ص 79؛ابن خلكان : وفيات 177/7،سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان 395/1.

(128) . altareekh.com.p,1

(129) ابن شداد : النوادر ص82؛ابن الاثير : الكامل 549/11.

(130)سبط ابن الجوزي : مرآة 397/1.

(131) المقريزي : السلوك 94/1؛ابو الفدا : المختصر 73/3؛ .rafed.net .p,1

(132) طارق فتحي سلطان :التاريخ الاسلامي في العصر العباسي ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر ،الموصل 2006م/1427هـ،195/2.

(133)باركر : الحروب الصليبية ص 86.

(134) المعاضيدي : الوطن العربي ص 176.

(135) باركر : الحروب ص 87.

(136) باركر : الحروب ص 87؛سلطان :التاريخ 196/2.

(137) زابوروف : الصليبيون ص 195.

(138) باركر : الحروب الصليبية ص 87،وقد شاركهم في هذه الحملة ملك المانيا .

(139) سلطان : التاريخ 196/2.

(140) سلطان : التاريخ 196/2.

(141) المعاضيدي : الوطن العربي ص 178.

(142) باركر : الحروب ص 86.

(143) زابوروف : الصليبيون ص 194.

(144) حامد غنيم ابو سعيد : الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض 1404هـ/1984م 135/2.